

تقرير

شوقي عشقوتني

lionbars@hotmail.com

الهجوم المضاد والقضم التدريجي والهاجس النووي
حرب أوكرانيا أمام منعطف، خطر ونقطة تحول

لأول مرة منذ الحرب العالمية الثانية، تعلن روسيا التعبئة الجزئية، ليفتح الرئيس فلاديمير بوتين بهذا القرار مرحلة جديدة في الحرب على أوكرانيا تحت ثلاثة عناوين: التعبئة الجزئية، وتنظيم استفتاءات لضم اربع مناطق اوكرانية كانت سيطرت عليها موسكو، ووضع خيار استخدام السلاح النووي على الطاولة

في توجهه الجديد بدأ بوتين أكثر تحدياً للغرب وأكثر اصراراً على مواصلة وتصعيد المواجهة، خصوصاً لجهة اقتناعه بعدم جدوى مسار المفاوضات، ووضع رهانه على الحسم العسكري الكامل على الرغم من الانتكاسات الاخيرة.

الهجوم المضاد الذي قام به الجيش الأوكراني والتقدم السريع الذي احززه، شكل نقطة تحول في مجرى الحرب وتسبب بحالة ارتباك لدى الروس على المستويين السياسي والعسكري، وحالة انتعاش معنوي لدى الأوكرانيين الذين استعادوا زمام المبادرة والثقة بانفسهم، وقدرتهم على حسم الصراع لمصلحتهم، واستعادة المناطق التي سيطرت عليها روسيا من عام 2014، بما في ذلك شبه جزيرة القرم. وسارعت الدول الغربية، لاسيما الولايات المتحدة، الى "الاحتفاء" بهذه الانتصارات والتعبير عن اعجابها بالجيش الأوكراني والتقدم المذهل الذي استعاد فيه

قرار بوتين باعلان التعبئة العامة الجزئية اتخذ لسببين رئيسيين:

- الاول يتعلق بالتقدم الذي احزته القوات الأوكرانية على جبهات القتال، مما ادى الى



أكثر من 6 الاف كيلومتر مربع من الاراضي في أكبر هجوم مضاد منذ الحرب العالمية الثانية، لاسيما لجهة السيطرة على مدينة خاركييف الاستراتيجية. الدعم الاميركي يبقى هو العامل الاهم في تغيير مسار الحرب وفي تقدم القوات الأوكرانية، بفعل المعدات العسكرية الاميركية وتأثير انظمة الاسلحة الغربية مثل HIMARS والقوة النارية المتعاطمة بفضل اكر عمليات ضخ للسلاح الغربي منذ الحرب العالمية الثانية، اضافة الى الاشراف الاميركي والاطلسي المباشر على ادارة المعارك الميدانية ومد القوات الأوكرانية بالمعلومات الاستخباراتية عن مواقع القوات الروسية وحركتها، والتي توفرها شبكة الاقمار الاصطناعية ومنظومة الرقابة الشاملة.

قرار بوتين باعلان التعبئة العامة الجزئية اتخذ لسببين رئيسيين: الاول يتعلق بالتقدم الذي احزته القوات الأوكرانية على جبهات القتال، مما ادى الى

وما يجعل التهديدات الروسية اليوم أكثر جدية، بالاضافة الى الضغوط المتزايدة على بوتين، هو خطوة الاستفتاءات التي جرت في 4 مناطق اوكرانية، هي دونيتسك ولوهانسك وخيرسون وزابوريزهيا، مما يعني ضم هذه المناطق التي تمثل 15 في المئة من مساحة اوكرانيا، الى روسيا. فهذه الخطوة ستعطي المبرر لموسكو لاعتبار الهجمات الأوكرانية على مناطق دونباس عدواناً على اراض روسية وتهديداً للدولة، يسمح لها بارسال مزيد من قواتها الى ساحة المعارك واستخدام كل الوسائل المتاحة للرد على التهديد.

هناك من يرى ان بوتين يستخدم التهديدات بأسلحة الدمار لتخويف اوكرانيا ودفعها للعودة الى طاولة التفاوض، وفي الوقت ذاته توجيه رسالة ردع للغرب لكي يحد من الدعم العسكري المكثف لاورانيا الذي قلب الموازين وكلف روسيا خسائر فادحة في ميدان القتال. هؤلاء يرون التهديدات مجرد مناورة يائسة، يمكن تجاهلها، لأن الرئيس الروسي لن يقدم على استخدام السلاح النووي التكتيكي او اي من اسلحة الدمار الاخرى لانه يعرف ان الثمن سيكون باهظاً عليه، كونه سيزيد حتماً من عزلة روسيا، وربما يفقدها ما تبقى من



”

الجيش الأوكراني
استعداد زمام المبادرة
والثقة بنفسه

“

تعاطف حلفائها مثل الصين والهند، ويعرضها لعقوبات غربية اشد. اضعف الى ذلك، انه قد يصبح مبرراً لبعض الدول الغربية لارسال مزيد من السلاح، وربما قوات ايضا الى اوكرانيا.

المشكلة انه لا احد يعرف على وجه الدقة المدى الذي يمكن ان يذهب اليه بوتين اذا شعر بأن الحرب تهدد روسيا وفقاً لرؤيته. بوتين هو الوحيد الذي يعرف ذلك تاركا العالم يخمن ما اذا كان الامر مجرد مناورة، ام نقلة الى عتبة الانزلاق نحو كارثة نووية. ليس من السهل توقع ما يمكن ان يحدث خلال الايام والاسبوع المقبلة بعد نكسة القوات الروسية في اوكرانيا. كثيرون في الغرب حذروا من خطر اذلال روسيا، والان يواجه العالم هذا الخطر الذي اصبح أكثر جدية من اي وقت مضى بعد الهزائم التي تلقتها القوات الروسية في منطقة خاركييف، وبات السؤال الذي يتردد هو، هل تزيد هذه الهزائم من مخاطر حرب نووية؟

الخطاب الذي استبق فيه بوتين مراسم توقيع معاهدات ضم المقاطعات الانفصالية في اوكرانيا كان خطاباً حماسياً موجهاً الى الداخل الروسي، مطلقاً مرحلة جديدة من الصراع في اوكرانيا، بعد تكريس امر واقع جديد من خلال اقرار ضم مناطق دونيتسك ولوغانسك وزوباروجيا وخيرسون الى روسيا الاتحادية. الخطاب الذي كان على قدر الحدث واهميته في لحظة يكتب فيها تاريخ جديد لروسيا وللعالم، ستكون له ارتدادات

وفرة الكلام عن تجاوز روسيا الخطوط الحمر الغربية عبر تحركاتها خلال الحرب وتجاوز الغرب الخطوط الحمر الروسية عبر تقديم المساعدات العسكرية الى اوكرانيا، لم ينتهك احد بعد الخطوط الحمر الحقيقية. في بداية الحرب، اعلن الطرفان مجموعة من القواعد الخفية، منها تقبل روسيا تقديم اسلحة ثقيلة ودعم استخباري من الحلفاء الى اوكرانيا، لكن من دون نشر اي قوات غربية ميدانياً. كذلك، كان يفترض ان تتقبل الدول الغربية، ولو على مضض، الحرب التقليدية الروسية داخل الحدود الأوكرانية طالما لا يؤدي الصراع الى استخدام اسلحة الدمار الشامل. حتى الان، لا تزال هذه القواعد الخفية قائمة، وهي تثبت ان الرئيس الاميركي جو بايدن ونظيره الروسي فلاديمير بوتين لا يريدان خوض الحرب على نطاق اوسع.

اوضح بايدن منذ البداية الخطوط التي يرفض تجاوزها في اوكرانيا. هو لن يتدخل في الصراع مباشرة، ولن يسمح بتورط الناتو، ولن يفرض على اوكرانيا اهدافاً حربية أكثر تطرفاً من تلك التي حددتها كييف. تقدم الولايات المتحدة كميات هائلة من المعدات الى اوكرانيا، لكن بايدن شدد على ضرورة التمييز بين دفاع اوكرانيا عن نفسها، وهو بند تلتزمه واشنطن بشكل لا لبس فيه، والضربات الأوكرانية التي تستهدف روسيا. يبقى الدعم العسكري لاورانيا محصوراً ضمن هذه الخطوط. يريد بايدن ان تنتصر اوكرانيا بشروطها وعلى ارضها، لكنه لا يرغب في تحويل الصراع الى حرب اقليمية.

لكن يبقى احتمال اندلاع هذا النوع من الحروب ممكناً، اذ لا تسيطر اي آلية دولية على مسار الصراع المستمر. بقي دور الامم المتحدة هامشياً، وينحاز الاتحاد الاوروبي الى طرف واحد. اما الولايات المتحدة، فلا يسمح لها موقعها بانهاض الحرب بشروطها، وتعجز روسيا او اوكرانيا عن تحقيق هذا الهدف ايضا. لقد انهارت المحادثات بين كييف وموسكو، ولم تنطلق اي جهود دبلوماسية لتجديد التواصل بين الولايات المتحدة وروسيا منذ بدء الحرب في 24 شباط الماضي. ولا ننسى تأثير حجم الصراع وتعقيداته، وعدد البلدان المتورطة فيه، وطبيعة التقنيات الجديدة المستعملة: يسهل ان يصبح هذا الخليط ساماً بامتياز.